ترجيحات وأحكام الشوكاني

وفوائده التدبرية في تفسيره فتح القدير

سورة النمل

أبو إسحاق محمود بن أحمد الزويد

شبكة الألوكة
www.alukah.net

www.alukah.net
شبكة الألوكة
هذا الكتاب منشور في
شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة - قسم الكتب

ترجيحات وأحكام الشوكاني

وفوائده التدبرية

في تفسيره فتح القدير

"سورة النمل"

تأليف

أبي إسحاق محمود بنْ أحمد الزويد

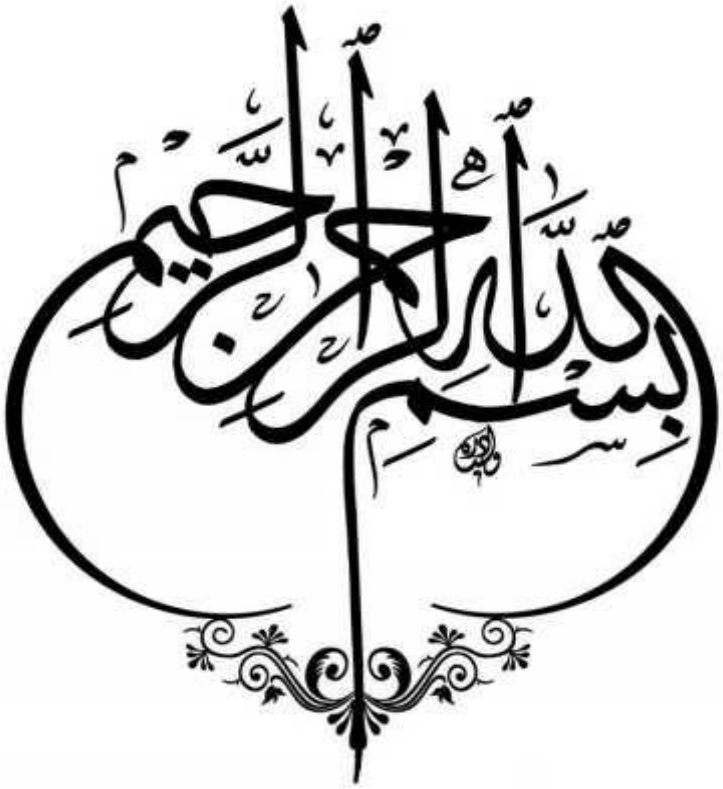
بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إنَّ الحمدَ للهِ نحمدُهُ ونستعينُ بهِ ونستغفرهُ ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أنَّ لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وسلم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا . يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧١-٧٠]

أمّا بعد: فإنّ أصدق الحديث كلام الله، وأحسن الهدي، هدي محمّدٍ صلى الله عليه وسلم، وشر الأمورِ محدثاتها، فإنّ كلَّ محدثةٍ بِدعة، وكلَّ بِدعةٍ ضلالة، وكلَّ ضلالةٍ في النَّار: وبعد فقد يسر الله لي مع مجموعة من طلاب العلم وأهله تدارس قرابة ربع القرآن الكريم، في شهر رمضان الكريم وذلك في عام (١٤٣٨) هجري، وكان كل شخص يستخرج الفوائد التدبرية ممَّا يراه في التفسير المقرر عليه، وكان نصيبي استخراج الوقفات التدبرية من تفسير "فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير"، للعلامة محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني المتوفى (١٢٥٠) هجري رحمه الله؛ ولم يكمل المشروع بسبب ضغوط عمل البعض، فكنت أستخرج بعض الفوائد في بعض الأوقات، وقررت بحمد الله نشر ما جمعته من الفوائد، وذلك من إتمام الخيرِ وتمامه، كما أنَّه من الدلالة على ما في القرآن من فوائد علميَّة وتدبريَّة. وقد أضفت إلى العمل الذي كنَّا بصدده، ترجيحات العلامة الشوكاني وتعليقاته في تفسيره؛ ممَّا يكون ذلك جامعاً للخير بين التدبر في الآيات، واستخراج الفوائد العلمية المتعلقة بالآيات القرآنيَّة.

فالله أسأل وبه أتوسل، أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه، وأن ينفع به قارئه، والدال عليه، إنَّ ربي على كلِّ شيءٍ قدير.

وكتبه: أبو إسحاق محمود بن أحمد الزويد

عامله الله بستره، وأحسن ختامه، وغفر له ولوالديه والمسلمين.

لعام ١٤٤٠هجري، الموافق لـ٢١ من ذي القعدة.

٢٠١٩إفرنجي، ٢٤يوليو/حزيران

أولاً: ترجيحات الشوكاني.

قوله: ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾

قال رحمه الله: "وقد أطال المفسرون في ذكر مقدار جنده، وبالغ كثير منهم مبالغة تستبعدها العقول، ولا تصح من جهة النقل؛ ولو صحت لكان في القدرة الربانيَّة ما هو أعظم من ذلك."

قوله: ﴿ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ﴾

قال رحمه الله: "ولا يتعلق بمثل هذا كثير فائدة، ولا بالتعرض لاسم النملة، ولما ذكر من القصص الموضوعة، والأحاديث المكذوبة."

وقال مرجحاً، أقول: "لا شك أنَّ سبأ اسم لمدينة باليمن كانت فيها بلقيس، وهو أيضاً اسم رجل من قحطان! وهو سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن هود، ولكن المراد هنا أنَّ الهدهد جاء إلى سليمان بخبر ما عاينه في مدينة سبأ ممَّا وصفه، وسيأتي في آخر هذا البحث من المأثور ما يوضح هذا ويؤيده، ومعنى الآية: أنَّ الهدهد جاء سليمان من هذه المدينة بخبر يقين، والنبأ: هو الخبر الخطير الشأن، فلمَّا قال الهدهد لسليمان ما قال، قال له سليمان: وما ذاك؟ فقال: إنِّي وجدت امرأة تملكهم وهي: بلقيس بنت شرحبيل، وجدها الهدهد تملك أهل سبأ"

وأخرج الحاكم في "المستدرك"، عن جعفر بن محمد(١) قال: أعطي سليمان ملك مشارق الأرض ومغاربها، فملك سليمان سبعمائة سنة وستة أشهر، ملك أهل الدنيا كلهم، من الجن والإنس، والدواب، والطير، والسباع، وأعطي كل شيء، ومنطق كل شيء، وفي زمانه صنعت الصنائع المعجبة، حتى إذا أراد الله أن يقبضه إليه أوحي إليه أن يستودع علم الله وحكمته أخاه، وولد داود كانوا أربعمائة وثمانين رجلاً أنبياء بلا رسالة."(٢)

قال الذهبي: "وقد رويت قصص في عظم ملك سليمان لا تطيب النفس بذكر شيء منها، فالإمساك عن ذكرها أولى"

---

١ -قال الذهبي رحمه الله في "ميزان الاعتدال"، في ترجمة "محمد بن جعفر عن أبيه"،"(٧٣١١)"، "قلت: فمن الباطل الذي أُلصِق بمحمد هذا: عن أبيه جعفر الصادق أنَّه قال: تملك سليمان الدنيا سبعمائة عام وستة أشهر، وذكر قصة منكرة أخرجها الحاكم في مستدركه فشان الكتاب بها وبأمثالها."

٢ -رواه الحاكم في "المستدرك"، برقم، "(٤١٣٩)"، وهو حديث باطل.

﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ﴾ روى ابن أبي حاتم عن الحسن قال: كان اسم هدهد سليمان غبر"(١)

وأقول: "من أين جاء علم هذا للحسن رحمه الله؟ وهكذا ما رواه عنه ابن عساكر(٢) أنَّ اسم النملة حرس، وأنَّها من قبيلة يقال لها بنو الشيصان، وأنها كانت عرجاء، وكانت بقدر الذئب(٣)، وهو رحمه الله أورع الناس عن نقل الكذب، ونحن نعلم أنه لم يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك شيء، ونعلم أنه ليس للحسن إسناد متصل بسليمان، أو بأحد من أصحابه، فهذا العلم مأخوذ من أهل الكتاب، وقد أمرنا أن لا نصدقهم ولا نكذبهم، فإن ترخص بالرواية عنهم لمثل ما روي «حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج»(٤) فليس ذلك فيما يتعلق بتفسير كتاب الله سبحانه بلا شك، بل فيما يذكر عنهم من القصص الواقعة لهم، وقد كررنا التنبيه على مثل هذا عند عروض ذكر التفاسير الغريبة"

---

١ -قال الإمام أبو القاسم السهيلي، في "التعريف والإعلام فيما أبهم من الأسماء والأعلام في القرآن الكريم، "(ص١٢٦)"، ط: الباز، "ولا أدري كيف يتصور أن يكون للنملة اسم علم ولا يسمي بعضهم بعضاً"

٢ -كما في "تاريخ دمشق"، "(٢٦٥/٢٢)"

٣ -قال الحافظ ابن كثير رحمه الله، في "البداية والنهاية"، "(٣٢٦/٢)"، ط: هجر، "وفي هذا كله نظر"

٤ -هذا الحديث روي من طرق عدَّة، وسوف أذكر منها ما أستطيع إلى ذلك سبيلاً فهو عمدة في جواز الرواية عن بني إسرائيل؛ ولكن مع التحرز عن المكذوب والمدسوس. هذا ولا سيَّما أنَّ أكثر الروايات والحكايات التي أنكرها الإمام الشوكاني، وسبقه على ذلك أهل العلم، إنما مصادرها الأساسية الرواية عن بني إسرائيل، وهذه البلية إنما تكون سبب الرواية دون تمحيص الصحيح عن الضعيف والموضوع، وهذه إنما يتأتى من ضعف الدراية بالحديث، وإنما الخطأ الذي وقع به البعض أنه حمل الأحاديث على إطلاقها، وهذا سببه في الغالب سوء في الفهم، أو قلة في العلم، نسأل الله علماً نافعاً ونعوذ بالله من علم لا ينفع.

وطرقه باختصار هي:

رواه الشافعي، كما في "مسنده"/سنجر. "(١٨١١)"، والحميدي في "مسنده"، "(١١٩٩)"، وأحمد في "مسنده"، "(١٠١٣٠)"، وأبو داود في "سننه"، "(٣٦٦٢)"، وابن حبان في "صحيحه"، "(٦٢٥٤)"، وهو في "المخلصيات"، "(١٣٣٣)" من رواية أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه.

ورواه النسائي في "الكبرى"، "(٥٨٤٨)"، وابن شيبة في "الأدب"، "(٢٠٨)"، من رواية أبي سعيد رضي الله عنه.

ورواه أحمد في "مسنده"، "(٦٤٨٦)"، والبخاري في "صحيحه"، "(٣٢٧٤)"، والطبراني، في "الشاميين"، "(٢١٨)"، من رواية عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهم.

ورواه أحمد بن منيع، من رواية عبد الرحمن بن سابط رضي الله عنه، كما في "المطالب العالية" لابن حجر، "(٧٧٤)"، ط: العاصمة.، وقال البوصيري، في "إتحاف الخيرة"، "(٣٧٥)"، "هذا إسناد مرسل ضعيف؟ لجهالة (ربيعة) بن حسان."

وروى ابن حبان، في "صحيحه"، بلفظٍ آخر، "(٦٢٥٧)"، بسنده عن ابن شهاب، أن نملة بن أبي نملة الأنصاري، حدثه، أن أبا نملة أخبره أنه بينما هو جالس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء رجل من اليهود، فقال: هل تكلم هذه الجنازة؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الله أعلم»، فقال اليهودي: أنا أشهد أنها تتكلم، فقال رسول الله صلى الله

﴿فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ﴾ جواب قسم محذوف.

قال النَّحاس: وسمعت ابن كيسان يقول: هي لام توكيد، ولام أمر ولام خفض، وهذا قول الحذاق من النحويين؛ لأنَّهم يردون الشيء إلى أصله، وهذا لا يتهيأ إلا لمن درب في العربيَّة."(١)

﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ قال أكثر المفسرين: اسم هذا الذي عنده علم من الكتاب آصف بن برخيا(٢)، وهو من بني إسرائيل، وكان وزيراً لسليمان، وكان يعلم اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى.

قال ابن عطية: وقالت فرقة هو سليمان نفسه، ويكون الخطاب على هذا للعفريت: كأن سليمان استبطأ ما قاله العفريت، فقال له تحقيرا له أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك.

وقيل: هو جبريل.

وقيل: الخضر، والأول أولى.

وقد قيل غير ذلك بما لا أصل له."(٣)

عليه وسلم: «ما حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم، وقالوا: آمنا بالله وملائكته وكتبه ورسله، فإن كان حقا لم تكذبوهم، وإن كان باطلا لم تصدقوهم» وقال: «قاتل الله اليهود، لقد أوتوا علماً»"

روى أبو نعيم في "حلية الأولياء"، "(١٢٥/٩)"، "قال الشافعي: معنى حديث النبي صلى الله عليه وسلم: «حدثوا عن بني إسرائيل، ولا حرج». أي لا بأس أن تحدثوا عنهم بما سمعتم وإن استحال أن يكون في هذه الأمة مثل ما روي أن ثيابهم تطول، والنار التي تنزل من السماء فتأكل القربان. ليس أن يحدث عنهم بالكذب، وما لا يروى "

قال البغوي في "شرح السنَّة"، "(٢٤٤/١)"، "ليس على معنى إباحة الكذب على بني إسرائيل، بل معناه: الرخصة في الحديث عنهم على معنى البلاغ من غير أن يصح ذلك بنقل الإسناد، لأنَّه أمرٌ قد تعذر في أخبارهم، لطول المدة ووقوع الفترة.

وفي إيجاب التحرز عن الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، بأنْ لا يحدث عنه إلا بما يصح عنده بنقل الإسناد، والثبت فيه.

وروي عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «كفى بالمرء إثماً أن يحدث بكل ما سمع».

وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: «أي أرض تقلني، وأي سماء تظلني، إذا قلت على الله ما لا أعلم».

[١] –انظر: إعراب القرآن للنَّحاس، "(١٤٤/٣)"

[٢] –انظر: تفسير ابن أبي حاتم، "(١٦٣٨٠)"، و"(١٦٣٨١)"، "(٢٨٨٦/٩)"

[٣] –انظر: تفسير ابن عطية، المسمَّى، " المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز"، "(٢٦١/٤)"، ط: العلميَّة.

وفي قوله ﴿وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين﴾

أخرج ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن أبي حاتم عنه في أثر طويل أن سليمان تزوجها بعد ذلك.(١)

قال أبو بكر ابن أبي شيبة: ما أحسنه من حديث.

قال ابن كثير في "تفسيره" بعد حكايته لقول أبي بكر بن أبي شيبة: بل هو منكر جداً، ولعله من أوهام عطاء بن السائب(٢) على ابن عباس، والله أعلم.

والأقرب في مثل هذه السياقات أنَّها متلقاة عن أهل الكتاب بما يوجد في صحفهم، كروايات كعب ووهب سامحهما الله، فيما نقلا إلى هذه الأمة من بني إسرائيل من الأوابد والغرائب والعجائب، مما كان، ومما لم يكن، ومما حرف وبدل ونسخ، انتهى، وكلامه هذا هو شعبة مما قد كررناه في هذا التفسير ونبهنا عليه في عدة مواضع، وكنت أظن أنه لم ينبه على ذلك غيري. فالحمد لله على الموافقة لمثل هذا الحافظ المنصف"(٣)

﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ وقد اختلف في أسماء هؤلاءِ التسعة اختلافاً كثيراً، لا حاجة إلى التطويل بذكره"(٤)

---

١ -انظر: تفسير ابن أبي حاتم، "(١٦٤٤٨)"، "(٩/ ٢٨٩٧)"، وابن شيبة في "مصنفه"، "(٣١٨٥٣)"، والدر المنثور، "(٣٦٣/٦)"

٢ -قال الإمام الذهبي، في "ميزان الاعتدال"، "(٥٦٤١)"، " عطاء بن السائب بن زيد الثقفي، أبو زيد الكوفي، أحد علماء التابعين.

روى عن عبد الله ابن أبي أوفى، وأنس، ووالده، وجماعة.

حدث عنه سفيان الثوري [وشعبة]، والفلاس، وتغير بأخرة، وساء حفظة قال أحمد: من سمع منه قديما فهو صحيح، ومن سمع منه حديثاً لم يكن بشيء.

وقال يحيى: لا يحتج به.

وقال أحمد ابن أبي خيثمة، عن يحيى: حديثه ضعيف، إلا ما كان عن شعبة، وسفيان.

وقال يحيى بن سعيد: سمع حماد بن زيد من عطاء بن السائب قبل أن يتغير.

وقال البخاري: أحاديث عطاء بن السائب القديمة صحيحه.

وقال ابن عيينة: ذكر أبو إسحاق السبيعي عطاء بن السائب فقال: ما فعل عطاء! إنه من البقايا."

٣ -انظر: تفسير ابن كثير، "(١٩٧/٦)"، ط: طيبة.

٤ -ذكرهم السيوطي في "الدر المنثور"، "(٤٨٩/٣)"، فقال: "كان أسماؤهم زعمي وزعيم وهرميوهريم وداب وهواب ورياب وسيطع وقدار بن سالف عاقر الناقة"

قوله ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى﴾ "وظاهر نفي إسماع الموتى العموم، فلا يخص منه إلا ما ورد بدليل، كما ثبت في الصحيح أنَّه صلى الله عليه وسلم خاطب القتلى في قليب بدر، فقيل له: يا رسول الله! إنما تكلم أجسادا لا أرواح لها، وكذلك ما ورد من أن الميت يسمع خفق نعال المشيعين له إذا انصرفوا"

قوله ﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾ ذكر جملة من الأقوال، ثمَّ عقب بقوله، " وقيل: غير ذلك ممَّا لا فائدة في التطويل بذكره، وقد رجَّح القول الأول القرطبي في تفسيره"(١)

والقول الأول، "أنَّها فصيل ناقة صالح يخرج عند اقتراب القيامة ويكون من أشراط الساعة"

ثمَّ قال: "وفي صفتها، ومكان خروجها، وما تصنعه، ومتى تخرج أحاديث كثيرة بعضها صحيح، وبعضها حسن، وبعضها ضعيف. وأما كونها تخرج. وكونها من علامات الساعة، فالأحاديث الواردة في ذلك صحيحة. ومنها ما هو ثابت في الصحيح كحديثِ حذيفة مرفوعاً «لا تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات»(٢) وذكر منها الدابة فإنَّه في صحيح مسلم، وفي السنن الأربعة وكحديث «بادروا بالأعمال قبل طلوع الشمس من مغربها، والدجال، والدابة»"(٣)

قوله ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ﴾ قال: "فله خير منها: الألف واللام للجنس، أي: من جاء بجنس الحسنة فله من الجزاء والثواب عند الله خير منها، أي: أفضل منها وأكثر، وقيل: خير حاصل من جهتها، والأول أولى. وقيل: المراد بالحسنة هنا: لا إله إلا الله. (٤)

---

١ –انظر: تفسير القرطبي، المسمَّى، "الجامع لأحكام القرآن"، "(١٣/١٦٦)"، ط: التوفيقية، وانظر: أيضاً كتاب "التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة"، "باب ذكر الدابة وصفتها ومتى تخرج ومن أين تخرج وكم لها من خرجة وصفة خروجها وما معها إذا خرجت وحديث الجساسة وما فيها من ذكر الدجال، "(ص٥٩٢)"، وما بعد، ط: المكتب الثقافي، و"(ص١٣٣١)"، ط: دار المنهاج.

٢ –رواه الترمذي في "سننه"، "(٢١٨٣)"

٣ –رواه مسلم، في "صحيحه"، "(١٨٦)"، وابن حبان في "صحيحه"، "(٦٧٠٤)"، والحاكم في "المستدرك"، "(٣٠٩)"، وأحمد في "مسنده"، مكرراً، "(٨٠٣٠)"، و"(٨٤٤٦)"، والترمذي في "سننه"، "(٢١٩٥)"، وابن ماجه في "سننه"، "(٤٠٥٦)" وله شاهد عند أبي داود في "سننه"، "(٤٢٥٩)"

٤ –قلت: ويشهد لها أنَّ معناها، "لا إله إلا الله"، قال تعالى ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الأنعام:١٦٠]

روى ابن أبي حاتم في "تفسيره"، "(٨١٦٥)"، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، في قوله: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ﴾ قال: لا إله إلا الله.

وروي عن ابن عباس وأبي هريرة وعلي بن الحسين وسعيد بن جبير والحسن وعطاء ومجاهد وأبي صالح ذكوان ومحمد بن كعب القرظي والنخعي والضحاك والزهري وعكرمة وزيد بن أسلم وقتادة نحو ذلك"

وقيل: هي الإخلاص، وقيل: أداء الفرائض، والتعميم أولى، ولا وجه للتخصيص، وإن قال به بعض السلف"

قوله ﴿وَمَنْ جاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ﴾ قال جماعة من الصحابة ومن بعدهم، حتى قيل: إنَّه مجمع عليه بين أهل التأويل: إنَّ المراد بالسيئة هنا الشرك"

ثانياً: الوقفات التَّدبريَّة.

قال الشوكاني: في قوله ﴿طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين﴾ فقد وصف الآيات بالوصفين: القرآنية الدالة على كونه مقروءاً مع الإشارة كونه قرآناً عربيًّا معجزاً.

والكتابية الدالة على كونه مكتوباً مع الإشارة إلى كونه متصفاً بصفة الكتب المنزلة.

﴿وهم بالآخرة يوقنون﴾

في محل نصب على الحال، وكرر الضمير للدلالة على الحصر، أي لا يوقن بالآخرة حق الإيقان إلا هؤلاء الجامعون بين الإيمان والعمل الصالح.

وجعل ﴿الخير﴾ مضارعاً؟ للدلالة على التجدد في كل وقت وعدم الانقطاع.

﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾

والتنوين في علماً إمَّا للنوع، أي: طائفة من العلم، أو للتعظيم، أي: علماً كثيراً.

والواو في قوله: ﴿وَقَالَا الْحَمْدُ لله﴾ للعطف على محذوف؛ لأنَّ هذا المقام مقام الفاء فالتقدير: ولقد آتيناهما علما فعملا به وقالا الحمد لله، ويؤيده أن الشكر باللسان، إنما يحسن إذا كان مسبوقا بعمل القلب، وهو العزم على فعل الطاعة، وترك المعصية

﴿إذ قال لأهله﴾

ولم يكن معه إذ ذاك إلا زوجته بنت شعيب، فكنى عنها بلفظ الأهل الدال على الكثرة، ومثله قوله ﴿امكثوا﴾

﴿سآتيكم منها بخبر﴾

السين تدل على بعد مسافة النار.

﴿فلما رآها تهتز كأنها جان﴾

قال الزجاج: صارت تتحرك كما يتحرك الجان، وإنما شبهها بالجان في خفة حركتها، وشبهها في موضع آخر بالثعبان لعظمها.

﴿فلما جاءتهم آياتنا مبصرة﴾

أي واضحة بينة كأنَّها لفرط وضوحها تبصر نفسها.

﴿وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنا مَنْطِقَ الطَّيْرِ﴾

قال سليمان هذه المقالة مخاطباً للنَّاس، تحدثا بما أنعم الله به عليه، وشكر النعمة التي خصه بها، وقدم منطق الطير لأنَّها نعمةٌ خاصة به، لا يشاركه فيها غيره.

قال الفراء: منطق الطير كلام الطير فجعل كمنطق الرجل.

﴿فَتَبَسَّمَ ضاحِكاً مِنْ قَوْلِها﴾

لأنَّه قد فهم الضحك من التبسم، وقيل: هي حال مقدرة لأنَّ التبسم أول الضحك، وقيل: لما كان التبسم قد يكون للغضب كان الضحك مبينا له، وقيل: إن ضحك الأنبياء هو التبسم لا غير.

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾

وخصَّ العرش بالذكر؛ لأنَّه أعظم المخلوقات كما ثبت ذلك في المرفوع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم"(١)

١- لعله حديث أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "يا أبا ذر ما السموات السبع في الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة، وفضل العرش على الكرسي ،كفضل الفلاة على الحلقة". الحديث: رواه ابن حبان كما في "الموارد" مطولاً، "(٩٤)"، والذهبي في "العلو"، "(٣٠٧)"، وقال: " والخبر منكر "، والبيهقي في الأسماء والصفات"، "(٨٦١)"، وقال: "تفرد به يحيى بن سعيد السعدي وله شاهد بإسناد أصح" ورواه أبو الشيخ في "العظمة"، "(٦٤٨/٢)"، وأبو نعيم في "الحلية"، "(١٦٦/١)"، من نفس الإسناد، وفي الإسنادِ، "إبراهيم بن هشام بن يحيى بن يحيى الغساني"، قال

﴿قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾

والنَّظر هو التأمل والتصفح، وفيه إرشاد إلى البحث عن الأخبار، والكشف عن الحقائق، وعدم قبول خبر المخبرين تقليداً لهم، واعتمادا عليهم، إذا تمكن من ذلك بوجه من الوجوه.

﴿اذْهَبْ بِكِتَابِي هذا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ﴾

وخص الهدهد بإرساله بالكتاب لأنَّه المخبر بالقصة، ولكونه رأى منه من مخايل الفهم، والعلم، وما يقتضي كونه أهلاً للرسالة.

﴿ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ﴾

أمره بذلك لكون التنحي بعد دفع الكتاب من أحسن الآداب التي يتأدب بها رسل الملوك

﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي﴾

وعبرت عن المشورة بالفتوى، لكون في ذلك حل لما أشكل من الأمر عليها.

قوله: ﴿وَقَالَتْ لَهُمْ: يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ﴾ وقوله: ﴿وَيَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي﴾

قال رحمه الله: "كرر (قالت) لمزيد العناية بما قالته لهم، ثمَّ زادت في التأدب واستجلاب خواطرهم ليمحضوها النَّصح، ويشيروا عليها بالصواب"

الذهبي في "الميزان"، "(٢٤٤)"، " وهو صاحب حديث أبي ذر الطويل، انفرد به عن أبيه عن جده." وذكره ابن حبان في الثقات، وأخرج حديثه في الأنواع. وقد كذبه كلاً من أبي حاتم وأبي زرعة" وقال الحافظ ابن حجر في "فتح الباري"، "(٤١١/١٣)"، " وفي حديث أبي ذر الطويل الذي صححه بن حبان إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا أبا ذر ما السماوات السبع مع الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على الحلقة وله شاهد عن مجاهد أخرجه سعيد بن منصور في التفسير بسندٍ صحيح عنه الحديث الثالث" وراجع إن شئت "السلسلة الصحيحة"، "(١٠٩)"

وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنهم: "الكرسي موضع القدمين، والعرش لا يقدر قدره إلا الله تعالى"

الأثر: رواه الدارمي في "الرد على بشر المريسي"، "(ص٧١- ٧٣- ٧٤) وعبد الله بن أحمد في "السنَّة"، "(ص٧٠- ١٤٢)" وابن جرير في "تفسيره"، "(١٠/٣)" كلهم من طريق سفيان الثوري عن عمار الذهني عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس موقوفاً. وصححه الحاكم في "المستدرك"، والذهبي في "العلو"، والهيثمي في "مجمع الزوائد"

وروى ابن خزيمة في "كتاب التوحيد"، "(٢٤٢/١)"، والبيهقي في الأسماء والصفات"، "(٨٥١)"، وصححه ابن القيم في "اجتماع الجيوش"، "(ص١٠٠)"، "عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : ما بين السماء إلى الأرض مسيرة خمسمائة عام ، ثم ما بين كل سماءين مسيرة خمسمائة عام ، وغلظ كل سماء مسيرة خمسمائة عام ، ثم ما بين السماء السابعة وبين الكرسي خمسمائة عام ، وما بين الكرسي وبين الماء خمسمائة عام ، والكرسي فوق الماء ، والله تعالى فوق العرش ، ولا يخفى عليه من أعمالكم شيء"

﴿بَلْ أَنتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾

توبيخاً لهم بفرحهم بهذه الهدية فرح فخر وخيلاء، والمراد بهذا الإضراب من سليمان بيان السبب الحامل لهم على الهدية مع الإزراء بهم، والحط عليهم.

﴿يا أَيُّهَا الْمَلَؤُا أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا﴾

استدعاء العرش قبل وصولها ليريها القدرة التي هي من عند الله، ويجعله دليلاً على نبوته.

﴿وأسلمت مع سليمان﴾

التفت من الخطاب إلى الغيبة، قيل: لإظهار معرفتها بالله.

والأولى أنَّها التفتت لما في هذا الاسم الشريف من الدلالةِ على جميع الأسماء.

﴿أنا دمرناهم وقومهم أجمعين﴾

ومعنى التأكيد بأجمعين، "أنَّه لم يشذ منهم أحد، ولا سلِم من العقوبة فرد من أفرادهم"

﴿أئنكم لتأتون الرجال شهوة﴾

فيه تكريرٌ للتوبيخ مع التصريح بأنَّ تلك الفاحشة هي اللواطة.

اللام في ﴿الْمُضْطَرَّ﴾ للجنسِ لا للاستغراق، فقد لا يجاب دعاء بعض المضطرين، لمانع يمنع من ذلك، بسبب يحدثه العبد، يحول بينه وبين إجابة دعائه، وإلا فقد ضمن الله سبحانه إجابة دعاء المضطر إذا دعاه، وأخبر بذلك عن نفسه، والوجه في إجابة المضطر أن ذلك الاضطرار الحاصل له يتسبب عنه الإخلاص، وقطع النظر عما سوى الله.

﴿وَالنَّهَارَ مُبْصِراً﴾ وصف النَّهار: بالإبصار، وهو وصف للنَّاس، مبالغةً في إضاءته كأنَّه يبصر ما فيه"(١)

١-تم بحمد الله تعالى ذكر ما استطعت من جمعه من فوائد تدبريَّة وعلميَّة.